

مخائيل نعيمة في حديث غير منشور: موت ونعود الى الحياة لنحقق المعرفة

- لا يدعشني من الإنسان انه وصل الى القمر، لانني كنت اتوقع ذلك، واتوقع أكثر من ذلك بكثير، اذا ما من حدود عندي للقوى الكامنة في الإنسان، والتي لم يستعمل منها حتى اليوم الا القليل القليل. ولن يدعشني اذا سمعت غدا ان إنسان طار من أقصى المشرق الى أقصى المغرب بدون أجنحة، فما من شيء يتخيله الإنسان الا كان قابلا للتحقيق. لأننا لا نستطيع ان نتخيل ما هو فوق قدرتنا. فالقوى الهائلة في الإنسان ما تزال أكثر بكثير مما يخطر لنا اليوم في بال. فلو ان الذين ماتوا في القرن الثامن عشر عادوا فولدوا اليوم، لذهلوا لما حققنا من تقدم في دنيا العلوم والتكنولوجيا.

وهكذا سيكون شأن أبناء اليوم لو كتب لهم ان يروا ما سيحققه الإنسان بعد قرن من الزمان. ولولا ان الإنسان اليوم لم يكن غارقا الى ما فوق أنفيه في مشكلات لا حصر لها ولا عد، لكان في استطاعه ان يجعل من الإنسانية عائلة واحدة، وان يوجه قواها الى البعيد البعيد من أهدافها. والذي أخشاه هو ان تكالب الناس على الملك والمال والسلطة سيصرف الكثير من قواهم في مجالات لا تشرف الإنسان، لأنها تشد به الى الوراء، بدلا من ان تدفعه الى الأمام.

بعضهم يقول: ان فلسفتك سلبية وهروبية، لأنها لا تركز على أرض الواقع؟
□ اما ان تكون للإنسان غاية من وجوده تتعدى المهذ واللحد، واذك كان علينا ان نكتشف تلك الغاية. واما ان تكون حياة الإنسان قنطرة صغيرة بين المهذ واللحد واذك فهي بدون قيمة. اذا كان صدق الإنسان من وجوده هو معرفة كل شيء، والقدرة على كل شيء، فجميع أعماله يجب ان تقاس بمقدار ما تدنيه او تقصيه عن ذلك الهدف. لذلك، فالحياة الاحتشافية



مخائيل نعيمة

العقل بكثير، من هذه القوى قوة التخيل التي بها ندرك أبعادا لا نستطيع ابراكها بالعقل. ونحن لو كانت لنا الإرادة الى جانب قوة التخيل لاستطعنا ان نحقق الخلود الذي نصبو اليه بكل جوارحنا. ولكننا ونحن في الفتح حيث نحن، لا نزال في الطريق، وامامنا مسيرة بعيدة وطويلة، واي باس في ذلك، ما دام الزمان كله مجالنا لبلوغ الهدف.

هل في استطاعة الإنسان ان يتخلى عن مفهوم الوطن؟

□ لا... لا... وهذا يعني ان عليه ان يسعى سعيا دائما لجعل الأرض كلها وطنه، بل لجعل الكون كله وطنه. وقبل ان يتم له ذلك ستبقى حياته حياة صراع وكفاح، الى ان يدرك المفزى البعيد في قول الشاعر:

وتحسب انك جرم صغير
وفيك استوى العالم الاكبر.

... وقبل ان يكتشف الإنسان ذلك العالم الاكبر، المنطوي فيه، ستبقى حياته كفاحا في سبيل الوطن الصغير الذي لا قيمة له الا بنسبة ما يتجم الوطن الاكبر.

في الوطن الاكبر يصبح كل انسان عاملا، غاية الحفاظ على ذلك الوطن تماما كما تعمل النحلة في خليتها للحفاظ على هذه الخلية. فهو إذ يعمل لنفسه يشعر اعمق الشعور بانه يعمل لغيره مثلما يعمل غيره له. وهذا يعني ان نفسه تمتد وتمتد الى ان تسع كل نفس، فهو لنفسه ولغيره في ان معا، ولا من كل انسان حارسا لآخيه، على عكس ما فعل قايين عندما قتل اخاه هابيل. وعندما ساله الله عن اخيه اين هو، اجابه: «هل انا حارس لآخي؟»

إن حياة المجتمع تقدم على حياة الفرد، فإذا اصطلح الفرد اصطلاح المجتمع. لذلك فالمجتمع الصالح هو المجتمع المكون من افراد صالحين ولذلك ينبغي ان نهتم بالفرد لنجعله صالحا إذا نحن شئنا ان يكون لنا مجتمع صالح.

* الاحداث العنيفة تجتاح العالم، كيف تفسر ذلك؟

منذ عشر سنوات، وتحديدا في التاسع عشر من شهر تشرين الاول اجتمعنا في منزل الاديب مخائيل نعيمة، في الزلقة (قرب بيروت) لمشاركته الإحتفال البسيط بعيد مولده.

رحب وشكر، وجلس في المكان المخصص له بين الاصدقاء القلة، يصغي الى كل كلمة، ويجيب عن اسئلة تتشعب وتتنوع:

- ربي كريم معي. صحيح ان جسمي تعب، لكن معنويات الروح والعقل مرتفعة وجيدة.
ماذا تفعل الآن؟

□ استريح، وارجع ما كتبت. اطالع ولا اشعر انني بحاجة الى تغيير اية كلمة في مؤلفاتي. فقد اصحح الأخطاء المطبعية.

لقد هجرت الكتابة منذ العام 1982، اعتقد ان الذي كتبته يكفي.

... وماذا تنتظر بعد؟

□ كل مركب مصيره الى الإنحلال، ولان اجسادنا مركبة فمقصي عليها ان تنحل، اما الروح الذي يحيي الجسد، فليس بالشيء المركب، لذلك فهو لا ينحل بانحلال الجسد، بل يبقى ما بقي الزمان. وهو لا يلتبس الجسد الا ليكتسب خبرة ما كانت له من قبل، حتى اذا اكتملت خبرته بات في غنى عن التجسد، واتحد بالله اتحادا لا انفصام بعده.

حبذا الموت لو كان الموت بابا الى اكتشاف حقيقة الوجود، ولكنه في الواقع باب الحياة الأخرى، تتكشف لنا فيها بعض جوانب الوجود التي كانت محجوبة عن ابصارنا. وفي اعتقادي، اننا سنبقى نموت ونعود الى الحياة، الى ان نحقق أقصى ما نصبو اليه من المعرفة التي لا يفوتها علم شيء، ومن الإرادة التي ليس فوقها ارادة، ومن الوجود الذي بمنطق الأزل والأبد.

... وينتقل نعيمة من موقع المجيب الى موقع

كيف تتصور حياة الصبي الذي في بسكنتا، ثم انتقل الى الناصرة في فلسطين تابع دراسته، ومنها الى روسيا، وبعدها الى اميركا؟ كيف تتصور هذه المراحل وفي بلدان مختلفة من دون معرفة سابقة لهذه البلدان؟

الإنسان لا يعرف حياة واحدة، ولو فكرنا في الفضاء الذي يتسع لكل الالوان، واعدادا تقاس بملايين الملايين، لو جدها يحل لنا الحياة التي لا نعرف لها بداية او نهاية (...). انا الآن في منزلي في الزلقة، ومؤلفاتي تقرا في هذه اللحظة بالذات في الصين واليابان واميركا وروسيا، وفي كل الدول العربية. اذا، انا موجود الآن في كل هذه الامكنة من دون ان ادري.

كيف تنظر الى الوجود؟

□ نحن نعيش في عالم لا يستقر على حال، فهو في تحول مستمر، ذلك هو شأن المحسوسات. فارضنا اليوم هي غير ما كانت عليه قبل الف سنة. وكذلك هي الحال مع الشمس وكل كوكب يدور في الفضاء. يبقى الفضاء وحده، فهو يبدو مستقرا لا يتغير ولا يتبدل. هذا الفضاء هو الحقيقة الأزلية الأبدية التي منها كل منظور ومحسوس، من بعد ان يؤدي وظيفته بالنسبة الى الفضاء. وكما انه ليس خارج الفضاء ما يمكن ان يدخل اليه، ولا في الفضاء ما يمكن ان يخرج منه، كذلك هي فكرة الله الأزلي السرمد الذي هو الزمان كله، والوعي كله، والإرادة كلها، فلا يمكن ان يضاف اليه او ان يؤخذ منه اي شيء. تتبدل المحسوسات ضمن الفضاء، اما الفضاء فلا يتبدل ولا يتغير. ولانه لا يحد فنحن لا نستطيع إدراكه بعقولنا المحدودة، بل بقوى فينا تفوق

والاقتصادية لا قيمة لها على الإطلاق الا على قدر ما أعد الإنسان في بلوغ هدفه. فهو ان استعملتها كدرجات يرقى بها الى ذاته، كانت خيرا وبركة. وهو ان استعملها كحاجات لها قيمة في ذاتها، فالوقت الذي يصرفه عليها وقت مهدور، لأنه يؤخر سيرد الى المعرفة الكاملة، والقدرة الكاملة، والديمومة التي يتلاشى في رحابها الزمان والمكان.

... ويتوقف الكلام. يقول مخائيل نعيمة ليطلقني خمس شمعات، وليسمع الكل يقول ويغني: سنة حلوة، مشفوعة بالتصنيات لصاحب العيد.

يشكر كل فرد، يبتسم، ويقول بهدوء تام وكانه يختصر كل فلسفته:

- لقد جعلتم لهذا العيد قيمة. لم أكن اهتم بعيد مولدي، لانني لست من الذين يعتقدون بان العمر يبدأ بالولادة وينتهي بالموت.

ان عمر الإنسان يمتد ما امتد الزمان. وإذا كان لنا ان نعرف غاية الإنسان من وجوده، فما علينا إلا ان نعتقد الأشواق التي تلازمه منذ ان يولد حتى يموت... اني ارى الإنسان يرتقي، يتقدم، ولو ببطء. كم يلزمه بعد، لا اعرف. الزمن خدعة ولن يغنى الإنسان قبل ان يبلغ الهدف الذي يصبو اليه.

يختم: أتقبل كل ما يحصل في الدنيا بمنتهى الرضى. واقول لا يحصل اي شيء إلا وقت ما يجب ان يحصل.

مروان العاصي